مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد
الخامس عشر
1998

1428 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1998 أفرنجي

شرح المرزوقي
لقافية «تأبّط شرًّا»

الأستاذ: عبد السلام الهتالي

جامعة السابع من إبريل - مركز البحوث والدراسات العليا

شهد القرن العشرين - فيما شهد - نشاطاً كبيراً وملحوظاً في مجال جمع الشعر العربي القديم وتحقيقه ونشره لم يشهده تاريخ اللّغة العربية منذ أن انقضى عصر جامعي الدّواوين الشّعرية أمثال أبي عمرو الشيباني (206هـ)، والأصمعي (216هـ)، وابن الأعرابي (231)، وابن حبيب (245هـ)، والسّكّري (275هـ)، وثعلب (291هـ) وأضرابهم.

فقد هبّ العرب في العصر الحديث بعد سُبات ورقاد دام قُروناً من الزّمن، فتفتّحت عيونهُم على تراث ضخم خلّفه لهم الآباء والأجداد، فهبُّوا يُزيلون عنه غُبار النسيان، ويبعثُون فيه نور الحياة بعد ظلام السنين الغابرة، مُخلّفين دَبر آذانهم نعق النّاعقين، وتخرّصات المتخرّصين الّذين حاولوا صرفهم عن تراث

أجدادهم؛ بالتّشكيك في صحّته تارة، وبصعوبة لغته وقصوره وعدم ملاءمته للحضارة الجديدة تارة أُخرى، إلى غير ذلك من حيل وأكاذيب روّجُوا بها، كعالميّة الثقافة، والقديم والجديد، وحاجة العصر وما إليها من مسمّيات وشعارات القصد منها قطع الصّلة بين قديم هذه الأمّة وحديثها، والفصل بين طريفها وتليدها.

وعلى مرّ الأيّام تطوّرت طريقة نشر التراث ومنهجه، فلم يعد مجرّد طبع مخطوط قديم كيفما اتّفق، بل أخذ علماؤنا وأدباؤنا ومحقّقونا ينهجون مناهج دقيقة في هذا المجال. بحيث لم يعد نشر الدّواوين الشعرية ـ مثلاً ـ مقتصراً على ما في مخطوط الدّيوان من شعر، بل صار يتعدّاه إلى رحلة شاقّة يقوم بها المحقّق في بطون كتب الأدب واللغة والتراجم والمختارات والتاريخ وغيرها ليجمع ما تفرّق فيها من شعر لصاحب الدّيوان المزمع تحقيقه ونشره، ليكون ذيلاً على ما في الدّيوان من شعر، تعميماً للفائدة.

هذا على أنّ الأحداث التي تعاورت أمّتنا قد أتلفت جُلّ تراثنا، وأفقدتنا كثيراً من الدّواوين الشعرية التي عُني العلماء الأوائل بجمعها، وبقيت حتى تسلّمها من جاء بعدهم، ثُمّ اختفت ولم يبق منها إلاّ إشارات مبثوثة في الكتب التي سلمت من عوادي الزّمان.

ومن هذه الدّواوين التي ضنّت بها الأيام علينا ديوان الشاعر الفاتك الصعلوك «تأبّط شرًا»، ثابت بن جابر الفهمي نحو 92ق هـ. أو مجموع شعره، وقد كان معروفاً ومتداولاً حتى القرن الرّابع الهجري؛ إذ نجد له إشارات عند «ابن جنّي 392هج»، وهو من رجال هذا القرن وعلمائه المبرّزين، فنراه يعقّب على بيت «تأبّط شراً» المشهور:

فَأُبتُ إلى فهم، وما كدت آئبًا وكم مثلُها فارقتُها، وهي تصفرُ

بقوله: «هكذا صحّة رواية هذا البيت، وكذلك هو في شعره فأمّا رواية من لا يضبطه: وما كنت آئبًا، ولم أك آئبًا فلبعده عن ضبطه. ويُؤكّد ما رويناه نحنُ مع وجوده في **الدّيوان** أنّ المعنى عليه...»[1]. وعن البيت نفسه يقول أيضاً ـ

(1) الخصائص 1: 391.

فيما نقله البغدادي في خزانته ـ: «وهذه هي الرّواية الصحيحة في هذا البيت، أعني قوله: «وما كدتُ آيبًا»، وكذلك وجدتها في **شعر هذا الرّجل** بالخطّ القديم، وهو **عتيد عندي إلى الآن**. والمعنى عليه البتّة»[2].

ومن خلال ما سبق لا يُستبعد أن يكون ديوان «تأبّط شراً» أو جزء من شعره كان بين يدي «ابن جنّي»، وأنّه قديم عتيق الخطّ، ولا يُستبعد كذلك أن يكون قصد «ابن جنّي» بالدّيوان كتاب «أشعار فهم» وهي القبيلة التي ينتمي إليها الشّاعر، وقد ذكر هذا الكتاب «الآمدي» في المؤتلف والمختلف[3].

إذن فالحاجة ماسّة ومُلحّة لجمع ما بقي متناثراً من شعر هذا الشاعر في كتب التراث، وقد قام بهذه المهمّة الشّاقة محقّق وأستاذ مشهور هو الأستاذ «علي ذو الفقار شاكر» فجمع الشّعر من مظانّه، وحقّق نسبته، وشرح ما غمض من ألفاظه وعباراته في كتاب أعاره اسم: «ديوان تأبّط شرًا وأخباره» ونشرته دار الغرب الإسلامي عام 1984م، وكسره على بابين رئيسين:

الباب الأول: ويضمّ قسمين:

1 ـ **القسم الأول**: فيه الشّعر الذي يُختلف في نسبته إلى الشاعر.

2 ـ **القسم الثاني**: فيه المختلط النسبة ممّا نُسب للشاعر وليس له.

الباب الثاني: ضمّ ثلاثة نصوص رئيسة هامّة في جمع وتحقيق وشرح شعر «تأبّط شرّاً» محقّقه.. تحقيقاً وافياً[4] وهي:

أ ـ ترجمة للشاعر من كتاب الأغاني اعتماداً على مخطوطة مكتبة «فيض الله».

ب ـ ما خرّجه «ابن جنّي» من شعر «تأبّط شرّاً» اعتماداً على مخطوطة مكتبة «الأسكوريال».

جـ ـ شرح «المرزوقي» للقصيدة القافيّة، من شرحه للمفضّليّات من مخطوطة مكتبة «برلين».

---

(2) خزانة الأدب 8: 374.

(3) المؤتلف والمختلف 82.

(4) هذه العبارة من إنشاء الأستاذ المحقّق.

وعلى شرح «المرزوقي» للقافيّة ينصب حديثنا، فقد وقع الدّيوان في يدي في الأيّام الأخيرة، وكانت مخطوطة شرح المفضّليّات بحوزتي، فأخذني ما يأخذ بني الإنسان من الفضول وحبّ الاستطلاع، فوجدتني أقارن بين ما هو مطبوع منشور وبين ما هو مخطوط، فخرجت من ذلك بمجموعة من الملاحظات، والمآخذ سأوردها بعد أن أقف قليلاً عند مقدّمة المحقق في الدّيوان؛ فقد لفت انتباهي إشادة المحقّق بأعمال من سبقوه في الاهتمام بـ«تأبّط شرّاً» وشعره من عرب ومستعربين، ونسي أو تناسى من سبقاه وجمعا ديوان «تأبّط شرّاً» وأخرجاه إلى النّور قبل أن يُخرج هو كتابه بأحدَ عشَر عاماً أي في عام 1973م، وهما الأستاذان العراقيّان؛ الدكتور: سلمان داود القره غولي، والمرحوم الأستاذ: جبّار جاسم، ولو كلّف الأستاذ «علي» نفسه بعض العناء فسأل من أهدى إليه كتابه هذا، وهو عمُّه وشيخه، المأسوف عليه الشيخ: محمود محمد شاكر لأخبره فما الشّيخ شاكر بالّذي يجهل ذلك، ولا مكتبته بالّتي تخلو منه. فالكتاب موزّع توزيعاً جيّداً، وَأذكر أنّ مكتبة كلية التربية بجامعة الفاتح تمتلك ثلاث نسخ منه، ولا أظن أنّ دار الكتب المصرية التي رجع إليها الأستاذ ليطّلع على مخطوطة «منتهى الطلب» تخلو منه؟

أمّا الملاحظات على شرح القصيدة القافيّة فهي على النّحو الآتي:

ص س.

1 ـ 369، 8: «فإن ثُنّى تأبّط شرّاً احتيجَ إلى أن يوقى بذو وُصلة ثم يُثنّى...».

صوابه «... احتيجَ أن يُؤتى بذو وصلة...».

2 ـ 369، 9: «... تقول: هٰذان ذوا تأبّط شرّاً...».

صوابه: «... تقول: هٰذان ذوا تأبّط» بحذف شرًا.

3 ـ 370، 7: «... تريدُ أنّه قد أثارَ حزازة وحقداً، وتحمّل طائلة ووتراً».

صوابه: «... قد أثار حزازة وحقداً، أو تحمّل طائلة ووتراً».

4 ـ 371، 11: «... وإنّما هو كديمَايَين ودِيَامَيين».

صوابه: «... وإنّما هو كديماس ودياميس».

5 ـ 372، 1: «. . . وكأنّه صار اسماً. . .» علّق عليها في الهامش بقوله: «في شرح التبريزي: فكأنه». وهي في المخطوطة «فكأنّه» كما في التبريزي، لا كما أثبت الأستاذ.

6 ـ 372، 11: «. . . فقالوا: هو مُعاودٌ عليه، أي مواظب، وهو معيدٌ له، أي مطيق، معيد أي معتاد [للضراب]» وقد زاد هذه اللفظة من التبريزي.

والصواب: «فقالوا: هو مُعاودٌ عليه، أي مواظب، وهو معيد له، أي مطيقٌ، ومحلٌّ معيد، أي معتاد». فإذن لا داعي لهذه اللفظة التي أقحمها الأستاذ.

7 ـ 373، 10: «وقيل: أصلُه طيّف كهيّن».

صوابه: «وقيل: أصله طيّفٌ كهيْن وهيّن».

8 ـ 373، 14: «وهذا كما يقالُ نزغٌ من الشيطان».

صوابه: «وهذا كما يقالُ: مسّه نزغٌ من الشيطان».

9 ـ 375، 9: «وطرّاق هُنا للمبالغة».

صوابه: «وطرّاق بناء للمبالغة».

10 ـ 376، 16: . . . «قال أبو عبيدة»، صوابه: «وقال أبو عبيدة».

11 ـ 377، 18: «وهو الذي لا حذاء له» أصلحها ولم يشر إلى المخطوط، ففيه: «. . . لا حذاء عليه».

12 ـ 379، 5: «. . . وقد وُصف بها» صوابه: «وقد وُصف به».

18 ـ 381، 6: «رثّ القُوى والعقل». وفي المخطوط: «رثّ القوى والعقد».

14 ـ 382، 3: «وروق الشباب وريْقه: أوّلُه».

صوابه: «وروق الشّباب وريّقه: أوله» ـ بالتضعيف ـ.

15 ـ 382، 7: «لا يطلُبُ عُلُوًّا ولا آبا».

صوابه: «يطلُب علوًّا ولا إباءً».

16 ـ 383، 14: «كأنّه لازمه». صوابه: «كأنّه لاصقَهُ».

17 ـ 386، 8: «ظبية رعت الشثّ».

صوابه: «ظبية رعت منبت الشثّ».

18 ـ 387، 15: «لا شيء أسرع لا ذا عُذر».

صوابه: «لا شيء أسرع مني لا ذا عُذر».

19 ـ 388، 9: «لا شيء أسرع مني، ولا ذا عُذرٍ، ولا ذا جناح».

صوابه: «لا شيء أسرع مني، لا ذا عُذرٍ...».

20 ـ 393، 1: «والصّياح في البكاء». صوابه: «والصُّراخ في البكاء».

21 ـ 393، 11: «الجرّ هنا على أنّه بدلٌ...».

صوابه: «الجرّ في سبّاق على أنّه بدلٌ...».

22 ـ 393، 12: «وهم يضيفون الشّيء لأدنى مُناسبة وعلقه».

صوابه: «وهم يضيفونَ الشّيء إلى الشّيء لأدنى سبب وعلّة».

23 ـ 393، 14: «وهذا وصف الله تعالى». صوابه: «ولهذا وصف الله تعالى».

24 ـ 394، 3: «وانتصب هذَا» صوابه: «وانتصب هَذًا».

25 ـ 394، 5: «هدّه الوعلُ» صوابه: «هدّه الرّعد».

26 ـ 394، 20: «ولمّا لحقنا بالحُمُول... (البيت)» ترك البيت على حاله ولم يكمله في الحاشية ولا خرّجه، وهو لابن الدُّمينة في ديوانه: 52، وأمالي القالي: 1/ 156، وتمام البيت:

«..... ودونـها خميصُ الحشى، توهي القميص عواتقه»

27 ـ 396، 6: «للنّفار في أمر» صوابه: «للنّقار في أمر».

28 ـ 397، 1: «ومفعال ومفعيل هُنا للمبالغة».

صوابه: «ومفعال ومفعيل بناءن للمبالغة».

29 ـ 397، 8: «غسّاق هنا للمبالغة» صوابه: «... بناء للمبالغة».

30 ـ 397، 15: «... واهى الماء صفة المدلاج».

صوابه: «... واهى الماء من صفة المدلاج».

31 ـ 398، 7: «فيرى طوارق النّاس» صوابه: «طوائف النّاس».

32 ـ 399، 8: «عند النّوازل والخطوب وعظائم الأمور».

صوابه: «عند النّوازل والخطوب، وتعاظم الأمر».

33 ـ 400، 12: «وقد روى» صوابه: «ومن روى».

34 ـ 401، 9: «... مشى فوقه صبيانٌ فتجمّع وتلمّس. وقيل: أراد أنّ ضفائر رأسه».

أسقط الأستاذ هنا سطراً كاملاً. والنّص كما في المخطوط: « ....مشى فوقه صبيان فتجمّع وتلمّس، وهذا كما قيل في صفة الفرس:

..... بمروّح لحمُها زيمُ[5]

أي متفرقٌ في نواحي بدنه. وقيل: «أراد أنّ ضفائر رأسه».

35 ـ 402، 10: «... وضحا يضحو ضحوًا للعيان».

صوابه: «.... وضحا يضحو ضحوًا لغتان».

36 ـ 402، 18: «ومناقبه» صوابه: «ومناعته»

37 ـ 403، 12: «يَنمى نماً ونَمياً فيمن جعله من الواو...».

صوابه: «ينمى نماً ونمياً ونُموًّا فيمن جعله....».

38 ـ 405، 2: «يجوز: رجل يفعَة».

صوابه: «نحو رجلٍ يفعة».

39 ـ 404، 5: لم يخرّج البيت الشّعري الذي ورد في هذا السطر، وهو:

قد أشهدُ الحيّ جميعاً بها لَهُم نعامٌ وَعَليهم نَعم

والبيت للبُريق الهذلي كما في أساس البلاغة (نعم)

ولم أجده في ديوان الهذليين، ولا في شرحه للسّكّري.

---

(5) من عجز بيت لزياد بن حمل في شرح الحماسة للمرزوقي 3: 1399 وتمامه: «متى أمرُّ على الشّقراء مُعتسفاً*خلّ النّقا...».

40 ـ 405، 12: «وبلائها» صوابه: «وبلاها».

41 ـ 405، 18: قال الشاعر:

دوامي الأيدي يخبطن السّريحا

مرّ عليه ولم يخرجه، وهو عجز بيت لمضرّس بن ربعي في الكتاب: 1/ 27، 4/ 190، وغيره من كتب النّحو والشّواهد.

42 ـ 406، 3: «لا كافيء له ولا معاون».

صوابه: «لا كافيء له في شيء ولا معاون».

43 ـ 406، 4: «ويرتقب لمَ يتولاّه بنفسه».

صوابه: «ويرتقب ثُمَّ يتولاّه بنفسه».

44 ـ 406، 8: «لكنّه أدالها على عذّل».

صوابه: «لكنّه أدالها على عذّال».

45 ـ 407، 8: «لتحتكّ فيه [الإبل]» زاد الإبل من عنده، والصواب كما في المخطوط: «ليُحَكّ به».

46 ـ 408، 3: «وسنبيّن الكلام في هذا البيت الذي يليه».

صوابه: «وسنبيّن الكلام في هذا في البيت الذي يليه».

47 ـ 410، 1: «به وجه آخر هو أن يكون».

صوابه: «به وجه آخر وهو أن يكون».

48 ـ 410، 2: «لو قنعت بذلك الإهلاك».

صوابه: «لو قنعت بذلك للإهلاك».

49 ـ 410، 7: ضبط تاء الفاعل في «أبقيتُه» بالضم، والصواب بالفتح كما هو في المخطوط.

50 ـ 410، 19: «إنّ من اللّوم» صوابه: «إنّ في اللّوم».

51 ـ 411، 10: «والتنقيب عن حالي» صوابه: «والتنقير. . . .».

52 ـ 412، 16: «فذلك رفعه صوابه: «فلذلك رفعه».

53ـ 413، 3: «فيما لامه وألزمه الحجّة» صوابه: «فيما لامه فيه، وألزمه الحجّة».

54ـ 413، 13: «وفي القرآن» فترى الودق يخرج من خلاله» «من سورة النّور 43».

وكذلك هي جزء من آية في سورة الرّوم: 47.

وبعد: فليس القصد من الملاحظات السّابقة الحطّ من قيمة ما قام بعمله الأستاذ المحقّق، فعمله عظيم وجليل، وأزعم أنّه أوفى وأشمل من الطبعة التي سبقته، والتي جاءت بعده، والعمل الجيّد هو الذي يستحقّ الوقوف عنده والاهتمام به.

المراجع

1 ـ أساس البلاغة، للزّمخشري. ط1. دار صادر. «أوفست» 1990م.

2 ـ الأمالي لأَبي علي القالي، 1، دار الكتب المصرية، نسخة مصوّرة، لا ط، لا ت.

3 ـ خزانة الأدب: البغدادي. تحقيق وشرح عبد السّلام هارون. ط3، 1989م مكتبة الخانجي.

4 ـ الخصائص: أَبو الفتح عثمان بن جنّي. تحقيق محمّد علي النجّار دار الكتاب العربي، بيروت، لاط، لات.

5 ـ ديوان تأبّط شرّاً وأخباره جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر. دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م.

6 ـ ديوان ابن الدّمينة. صنعة أَبي العبّاس ثعلب، ومحمّد بن حبيب. تحقيق: أَحمد راتب النفّاخ. مكتبة العروبة. القاهرة ط1، 1959م.

7 ـ شرح ديوان الحماسة. لأَبي عليّ المرزوقي. تحقيق: أَحمد أمين، وعبد السّلام هارون. دار الجيل ط1، 1991م.

8 ـ الكتاب: سيبويه. تحقيق: عبد السّلام هارون. مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1988م.